الفضة.. ثروة من كنوز الماضي.. يلاحقها الاندثار والغش!!

تحقيق/افتكار أحمد

حتى عهد قريب ظلت الفضة تحتل مكانة كبيرة في المجتمع كمصدر رئيسي لصناعة النقود ورمز للثراء، لكنها اليوم أصبحت مجرد ذكرى تحمل عبق الماضي في قراءة تفاصيل صياغة المشغولات الفضية بمختلف أنواعها والتي تعكس إبداع ومهارات الحرفي في اليمن وتذوقه الجمالي والنفسي، وهو يحول القطع الفضية إلى إكسسوارات تتمتع بالإضافة إلى جمالياتها بقيمة إضافية تعبر عن المكانة الاجتماعية التي تحتلها المرأة اليمنية والمنطقة التي تنتمي إليها.

وبوسع قطعة الفضة التي حاكتها وأبدعتها يد الفنان الحرفي أن تتحول إلى سمات جمالية تتوزع على الأجزاء التي تحرص على أن تبدو فيها أكثر جمالاً، كما تحتل موقعها على الهامة وفي الأذنين وعلى الصدر ومعصم اليد وحتى في السيقان، وتعتبر المرأة أكثر مستخدمي الفضة، بل انها كانت تمثل المصدر الأول للزينة التي لم ينافسها حتى الذهب.. ولقد زادت أهميتها بعد المزاوجة بينها وبين الأحجار الكريمة من العقيق اليماني والمرجان والكهرمان.. هذه المفردات الجمالية الرائعة ذائعة الصيت والشهرة الواسعة في العديد من دول العالم لما تتمتع به من جماليات وألق وألوان بديعة وجذابة تأسر العين وتشد النفس.

ولقد ارتبط اسمها باليمن وبالإنسان اليمني الذي أحاطها بعنايته واهتمامه منذ مئات السنين.. لكنها اليوم لم تعد كما كانت بالأمس، وتحولت إلى قيمة سياحية مادية وينحصر تداولها في أماكن محدودة، طرفاه صائغون محترفون وسياح مسكونون بالدهشة.

الفضة وحكايتها لا تتسع الأسطر والصفحات لذكرها حيث كانت الفضة هي الزينة الوحيدة والنادرة التي تتزين بها المرأة لذا كان هناك من الأصناف والأشكال المرصعة بالعقيق والياقوت ما يبهر النظر ويفتن به فلقد كانت هذه المصوغات الجمالية والجذابة تزيد المرأة جمالاً وتفنناً كلما تزينت بها وحتى عهد قريب والمرأة ما زالت تحتفظ بهذه الزينة إلى أن طغت الكثير من الحلي من الذهب والفضة المزركشة بإضافات تشوه جمال ورونق الفضة الأصلية بعدها عزف الكثير من النساء عن شراء الفضة والتزين بها لأسباب مختلفة وليس ذلك فحسب بل إن الكثير منهن فرطن بها وقمن ببيعها بأبخس الأثمان بحجة أنها لم تعد تشكل لهن أي مصدر للدخل كما أنهن لم يعدن يتزين بها في ظل وجود الحلي الأخرى لكن القلائل منهن ما زلن يحتفظن بعبق وذكريات الماضي وتربطهن بهذه الزينة علاقة وثيقة وحميمة..

علاقة حميمة

زكية محمد واحدة من النساء القلائل اللواتي ما زلن يحرصن على التزين بالفضة ويلبسنها باستمرار وخصوصا في المناسبات كما يحتفظن بكميات منها ولا يفرطن فيها، ويفضلنها على الذهب.. تقول زكية : «منذ الصغر وأنا ألبس الفضة واعشقها خصوصا وان والدي كان يعمل في صياغتها وبيعها ويهديني بين الوقت والآخر مصوغات منها إما أسورة أو خواتم مرصعة بالعقيق أو أخراص.. ،كما انني بالإضافة إلى ذلك كنت اجمع ما احصل عليه من نقود واشتري بها أنواعاً وأشكالاً جديدة من الفضة، حتى أصبح لدي كمية منها..

وتضيف/رغم ان زوجي كان دائما يطلب مني أن أبيع ما لدي من فضة واشتري بدلا عنها ذهباً ، لكنني كنت أرفض هذه الفكرة ، وكلما أهدى لي زوجي ذهبا استبدله بالفضة، لدرجة انني دخلت معه في خصام بسبب ذلك، وبعد أن فشل في إقناعي ببيع حتى جزء من الفضة الموجودة معي عدل عن فكرته، وأصبح هو الذي يقتني لي الفضة، وتأسف لأن أخاها باع كل ما ورثه عن والدها بعد وفاته من الفضة والعقيق وحول المكان الذي كان والدها يصيغ فيه الفضة ويعرضها للبيع إلى محل لبيع الملابس.

ندم

وعلى العكس من ذلك باعت أفنان سعيد كل ما ورثته عن أمها من الفضة، ولم تبق منه شيئاً .. تقول أفنان: ورثت عن والدتي صندوقا من الفضة حيث كانت امي تحب الفضة وتحرص على جمعها والاحتفاظ بها، وكانت لا تتزين إلا بالقليل منها، وتخفي عن الآخرين انها تمتلك كمية من الفضة، وبعد أن توفيت بفترة اخرجت الصندوق وفتحته وكان مملوءاً بالفضة فأخذت جزءاً منها وبعته وسددت من ثمنه الديون التي كانت على والدتي، وبعد ذلك بفترة بعت كل ما تبقى في الصندوق بثمن زهيد ولم استفد بقيمته في شيء، وأنا الآن نادمة على ذلك التصرف..

خائفون..!!

يتخوف اصحاب هذه الصنعة والذين لهم باع طويل في صناعتها والعمل عليها منذ عشرات السنين وتوارثوها عن الآباء والاجداد حتى يبقى عبقها على مر الازمان.. يتخوفون من اندثار هذه الصنعة التي تشتهر بها بلادنا وتفخر بصناعتها ويدعون المجتمع والجهات المعنية للاهتمام بهذه الصنعة والمحافظة عليها لما تتمتع به من جمال وجاذبية كما انها ذات جدوى اقتصادية تعود على البلد من قبل الزائرين والسياح..

يقول محمد جمال ريشان الذي ينتمي لأعرق عائلة صياغة الفضة في اليمن ورثت هذه المهنة عن آبائي وأجدادي الذين مارسوا هذا العمل منذ زمن بعيد، ونقوم بصياغة أشكال وأنواع مختلفة من الفضة مثل الإكسسوارات والخواتم والأخراص والسلوس وغيرها مما يتعلق بزينة المرأة.. بالإضافة إلى صناعة السيوف والخناجر والقلائد والصناديق المطرزة بالفضة..

ويضيف: هذه المصوغات الفضية تحظى بإقبال كبير من قبل السياح العرب وخصوصا الخليجيين بنسبة ٧٠٪ و٣٠٪ أجانب من فرنسا وألمانيا وإيطاليا وأمريكا وعدد من الدول الأخرى، ويزداد الإقبال عليها نهاية كل شهر، لكن الحال ليس كما كان عليه في السابق.

وعن مشاركاته الخارجية يقول/شاركنا بعروضات متنوعة وتشكيلات متميزة من الفضة والعقيق اليماني في العديد من الفعاليات والمهرجانات والمعارض التي أقيمت خارج اليمن في كل من دبي وقطر ومهرجان الربيع في البحرين، وفي المانيا أيضا، وقد حظيت معروضاتنا في هذه المهرجانات وبإعجاب كبير من قبل الزائرين العرب والأجانب الذين اقبلوا عليها بشكل كبير.

لكنه يأسف من قلة الاقبال عليه من قبل اصحاب البلد وخاصة النساء كما كان في السابق بل أن الجهات المعنية ايضا لم تهتم بهذه الصناعة وتروج لها اضافة إلى ذلك قل عدد السياح عما كان في السابق بحجة الارهاب لذا نخاف كثيرا من أن تندثر هذه الصناعة العريقة في بلادنا والتي ينبهر بها الكثير من الزائرين من خارج الوطن.

اهتمام شخصي

وهذا خالد شامية صاحب أحد محلات الفضة والعقيق له أكثر من خمسة عشر عاما يعمل في هذه المهنة ، ويقوم بإجراء أبحاث ودراسات عليها وعلى حلي «المرجان» والموروث الشعبي وبعض الأشياء التي انقرضت بهدف الحفاظ عليها من الاندثار في ظل الإهمال وعدم الاهتمام بمثل هذه الجوانب التراثية رغم أنها تعكس حضارة وإبداع الإنسان اليمني منذ القدم، يقول شامية/ درست الأحجار الكريمة وتعمقت فيها في الفترة الأخيرة، وقد شاركت بمعروضات نادرة من الفضة والعقيق والمصوغات الأخرى في العديد من المعارض الدولية في كل من فرنسا وإيطاليا وألمانيا.

ويضيف: اليمن تشتهر بحجر الأونكسر «من الأحجار الكريمة» النادر في العالم الذي

■ أمة الرزاق جحاف

□ صاغة محترفون.. وسياح تسكنهم الدهشة..

يحظى بإقبال كبير من قبل السياح الذين يفضلون الصناعة التقليدية القديمة عن التقنيات الحديثة وخصوصا في مثل هذه المصوغات لأن استخدام التقنية في صياغتها وتشكيلها يشوه جمالياتها ويتالم خالد لما يبذله من مجهود في هذه الصناعة في ظل الإهمال وعدم الاهتمام بهذه الثروة التي خلدها الآباء والأجداد وتغنى برونقها وجمالها الزائرون والسياح.

مكانة بارزة

الجهات ذات العلاقة هي الأخرى تتذمر من هذا الوضع الذي سيؤدي في الأخير إلى اندثار الفضة وضياعها الأخت/أمة الرزاق جحاف.. مدير عام مركز تنمية المرأة لفنون التراث تقول/ اشتهرت اليمن عبر تاريخها الموغل في القدم بصياغة الفضة التي احتلت مكانة بارزة في حياة المجتمع اليمني إما كرافد اقتصادي من خلال العملة الفضية التي كان يتم صكها محلياً في معامل خاصة للدولة وتحمل نقوشها قيمة فنية إلى جانب قيمتها المالية أو كحلي تزين صدور النساء ومعاصمهن وأرجلهن أو كقطع فنية تتدلى من خصور الرجال ولم تكن أي مدينة يمنية تخلو من الصاغة اليمنيين الذين يعكسون موروثها الثقافي في نقوشهم بشكل يمنحها خصوصيتها ومن ناحية أخرى تصبح منتجاتهم منفردة بفنها وجمالها وذوقها الرفيع.

وتردف أمة الرزاق قائلة: لقد نشأت بين الفضة والمرأة علاقة وطيدة ابتداء من المهد الذي كان يحدد مقداره بالريال الفضي مروراً بالحلي التي كانت تزين معظم جسدها وكلما زادت كمية الحلي التي تمتلكها دل ذلك على ثرائها.

اضافة إلى أن بعض أنواع الحلي ارتبطت ببعض المعتقدات الشعبية حيث كان يعتقد أن الحروز الفضية وسيلة فعالة لمنع الحسد والعين، ولكن ما نلاحظه في الفترة الأخيرة أن المكانة الرفيعة التي كانت للفضة قد بدأت تتراجع وخاصة خلال الثلاثة العقود الماضية وتراجع معها أيضا انتاجها حيث اجتذبت دول الجوار عدداً كبيراً من الحرفيين الذين هاجروا اليها كما أدت السيوله النقدية التي حققتها تحويلات المغتربين المالية إلى اهاليهم وأسرهم إلى ظهور انماط جديدة من الاستهلاك أهمها شيوع استخدام واقتناء الذهب والمباهاة والمفاخرة بما تمتلكه كل أسرة من هذا المعدن الثمين بسبب ارتفاع ثمنه من جهة ولأنه يحتفظ بقيمته النقدية الثابتة من جهة أخرى مما أدى بالمرأة إلى الاقبال على شرائه ليكون لها ما تلجأ إليه في وقت شدتها.

هزيلة ومغشوشة

وتمضي مديرة مركز تنمية المرأة لفنون التراث بالقول: رغم جمال الفضة القديمة ودقة زخرفها إلا أنها لم تعد مناسبة لطابع العصر لأن معظمها فضة ثقيلة الوزن كبيرة الحجم مما يصعب على المرأة لبسها والتزين بها وفي نفس الوقت فإن اقبال السياح على شرائها جعل المخزون الذي تمتلكه منها قليل، أما بالنسبة للفضة الجديدة التي يتم انتاجها محلياً فإنها للأسف فضة سيئة سواء من حيث تصاميمها الهزيلة أو من حيث الغش في عيارها فهي لا تخضع لأي رقابة رسمية ولا ترتبط بوزن وبتسعيرة معينة ولا يحصل مشتريها على شهادة تضمن ما دفعه فيها مما يجعل الفارق كبيراً بين ثمنها عند الشراء وعند البيع ولهذا اذا اردنا أن يكون لدينا استمرار حقيقي لهذه الحرفة فلا بد أن يكون لدينا جهة رسمية تحد من عملية الغش التجاري وفي نفس الوقت تعيد لهذه الحلي احترامها ومكانتها كما لا بد من وجود ضوابط قانونية تجعل التعامل بين البائع والمشتري على أساس من الثقة الذي يضمن للطرفين حقهما.

صمود حرفة

وعلى الرغم من انحسار هذه الثروة في الوقت الحاضر في الأسواق وندرة تواجدها نتيجة لانصراف العديد من المشتغلين بهذه الحرفة إلى مهن وحرف أخرى أكثر دخلاً بالإضافة إلى عدم ايلاء الاهتمام المناسب لهذه الثروة الثمينة التي بدأت تختفي أو تصبح نادرة.. إلا أنها مع ذلك تظل الحرفة الأكثر صموداً أمام اندثار الكثير من الحرف اليدوية التي اشتهرت بها بلادنا.. ولا تزال تحظى بإقبال واسع وخصوصا من قبل السياح الذين يأتون إلى اليمن للبحث عن هذه الحرفة واقتنائها نظراً لجودتها واصالتها وجمالها.

□ رمز الثراء والمصدر الأول لزينة المرأة حتى عهد قريب..

□ حضور لافت في المعارض الدولية وإقبال كبير من الزائرين..

هل تكون قمة الخلاص

سليمان عبدالجبار

■ ،، عندما احتدم الجدل والخلاف بين وزراء الخارجية العرب في الاجتماع التحضيري لقمة الجزائر حول مقترحات تعديل مبادرة السلام العربية التي أقرت في قمة بيروت عام ٢٠٠٣م صرخ الفلسطينيون بمرارة قائلين: إن اللحظة الراهنة ليست مناسبة لصياغة مبادرات سلام أو الركض وراء تطبيع العلاقات مع اسرائيل ولم نأت إلى القمة لطلب مبادرات وانما دعماً يقود صمودنا في مواجهة العدوان ،ومخططات الاستيطان والتهديد وبعد ساعات وجهت اسرائيل رسالة غير مباشرة للقمة العربية تؤكد هذه الحقيقة ومفادها أن التسوية المستقبلية ترسمها هي وفق مايمليه عليها مشروعها الاستيطاني الضخم الهادف إلى نهب أكثر من نصف أراضي الضفة الغربية واحباط قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وتعمدت حكومة شارون توقيت انعقاد قمة الجزائر للكشف عن مخطط استيطاني واسع في القدس الشرقية ومحيطها وتسييجها بجدران فصل عنصري وطرقات التفافية تجعل سكان المدينة من العرب محاصرين من كل جانب ومقيدي الحركة مما يجبرهم على الرحيل لتصبح المدينة تحت السيطرة اليهودية الكاملة.

وكشفت ايضا عن ملامح صفقة مع امريكا يجرى الترتيب لها سراً تقوم على رفض الحل النهائي والالتزام بحل انتقالي ورد في خارطة الطريق ويقضي بدولة فلسطينية مؤقتة وهو مايصب في مخططات رئيس الوزراء الاسرائيلي ارئيل شارون.

إن القضية الفلسطينية تمر بمنعطف تاريخي خطير ، فشراسة الهجمة الاستيطانية ومخططات التهويد وتشعب المؤامرة ينذر بكارثة لا يملك الفلسطينيون قدرة على مواجهتها.

ولا يكفي أن يخرج الزعماء العرب من قمتهم بالجزائر في ختام اعمالها اليوم بمبادرة معدلة للسلام سترفض اسرائيلياً بالتأكيد بل لابد أن ترفق بخيارات أخرى قوية تنطلق من الشعور بالمسئولية أمام هي القضية المصيرية ومن الحرص على سلامة المقدسات والاصرار على استعادة كامل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في إقامة الدولة الفلسطينية وايضا استعادة كامل الحقوق العربية المغتصبة في الجولان وجنوب لبنان.

ويتطلع ٣٠٠ مليون عربي في شرق الوطن وغربه إلى قمة الجزائر في يومها الأخير آملين أن تشكل نتائجها منطلقا للخلاص من حالة الذل والهوان التي تعيشها الأمة العربية في الوقت الراهن.

اليوم العالمي للأرصاد الجوية لعام ٢٠٠٥م

"الطقس والمناخ والمياه والتنمية المستدامة"

م.عبدالرزاق محسن مثنى●

■ ،، إن الاحتفال باليوم العالمي للارصاد الجوية احتفال بذكرى دخول اتفاقية إنشاء المنظمة العالمية للارصاد الجوية إلى حيز التنفيذ اعتباراً من ٢٣ مارس ١٩٥٠م.

موضوع اليوم العالمي للارصاد الجوية لهذا العام ٢٠٠٥م هو "الطقس والمناخ والمياه والتنمية المستدامة" اعترافاً بالدور الحيوي والهام للارصاد الجوية وارتباطها الوثيق في التقدم البشري والتنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة وحماية البيئة والتخفيف من آثار الكوارث الطبيعية وتتطلب التنمية المستدامة فهماً أفضل لنظام المناخ مع إمكانية التنبؤ بالتغيرات المناخية في المستقبل وأثرها على الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية فجميع الأنشطة البشرية تقريباً تتأثر بالطقس والمناخ والمياه وتؤثر فيها.

في الأشهر القليلة الماضية تسببت سوء الأحوال الجوية والطقس وكذا الكوارث الطبيعية ومنها المد البحري والزلازل وتلوث المياه في خسائر كبيرة في الارواح وفي أضرار اقتصادية جسيمة مما أثر على حياة مئات الملايين من السكان في جميع أنحاء العالم ومنها بلادنا، وعلى مرافق الأرصاد الجوية التصدي لهذه القضايا وأن تدرج في الخطط الشاملة للتنمية وتنفيذها من صانعي القرارات ومشاركة وسائل الإعلام في نشر التوعية والتثقيف.

تسعى مرافق الارصاد الجوية ومنها قطاع الأرصاد الجوية ببلادنا بإضافة أنواع جديدة من التطبيقات والخدمات الأكثر تطوراً في مجال الصحة والرصد البحري ومراقبة التلوث الجوي وإدارة الطاقة المتجددة مما يؤدي إلى تقديم أفضل الخدمات وتفادي آثار الظواهر الخطرة التي تهدد سلامة الإنسان وأمنه.

إن بلادنا كسائر بلدان العالم تواكب التطور العلمي والتكنولوجي باستمرار في تحسين عملية رصد الطقس والمناخ والمياه وتوسيع شبكة الرصد السطحي والبحري.. حيث تم إنشاء أول محطة رصد بحرية بالجمهورية بميناء عدن بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢١م. وربطها بالشبكة الرقمية المتكاملة للأرصاد، كما سيشهد هذا العام ٢٠٠٥م افتتاح محطات رصدية أخرى سطحية وبحرية في مختلف محافظات الجمهورية.

إن دعم الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد من قبل الدولة يسهم بشكل فعال في تطوير قطاع الأرصاد ورفع التنمية المستدامة وتحسين مخرجات الأرصاد المرتبطة بالطقس والمناخ والتنبؤات للتصدي بصورة فعالة للتحديات البيئية والتغيرات المناخية التي تواجه البشرية في القرن الحادي والعشرين.

* مدير شبكات الرصد
الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد